

(كيف لا نشهدُ للتي يشهدُ لها الخلود)

صار الجوُّ يَمِيلُ إلى البرودة

يُطلقُ النسماتُ العليلةَ مِنْهَا وهناك

ومنَ الجهاتِ الأربعِ في البستان

حتى إنَّ الجهاتِ الأربعَ تُصبحُ جهةً واحدةً

وأنتَ فيكَ تتلاشى المُسَامَّيات

فلا جسمُكَ ذو ماهيةٍ ولا رُوحُكَ

كُلُّ الاعتباراتِ الوجودية تختفي

إلا اعتبارِ كينونتكَ بلا قيد

إنَّكَ تُحسُّ بذلكَ وقتَ قربِ أُفولِ الشمسِ

وقتَ احمرارِ السماءِ، وقتَ استعدادِ النهارِ للرحيل

وقتَ هبَّاتِ قشريريةِ تنابُّ جسمَكَ مِنْ لسعةِ برديِ دافئةٍ

وقتَ رقصةِ خيوطِ الطبيعةِ البيضاءِ أمامَكَ

وقتَ تلمحُ ثقباً متوهِّجاً يتوارى بينَ أكواامِ طبيعتِه

وقتَ انصبابِ شايـكَ مـنَ القوري الذي اختفى أساسُ لونـه

وقتَ رشفـكَ للشـاي ولا تدري أـلـهُ تقولُ إـنـا إـنـا !

أم للشـمس المذبـحة في كـبدـ السمـاءـ أم للنسـمـاتـ العـلـيـلةـ

أـ لـخـيوـطـ الطـبـيـنـةـ أم لـرـائـحـتهاـ أـمـ،ـ أـمـ

أم لـكـلـ ذـلـكـ بـحـيـثـ لا تـشـعـرـ مـنـ أـينـ تـأـتـيكـ اللـذـةـ

لهـذا يـتـبـادـرـ يـحـضـرـ فـي ذـهـنـكـ الـجـمـالـ المـطـلـقـ الـكـمـالـ المـطـلـقـ

يـنـطـقـ بـلـفـطـ الـجـلـالـةـ لـسـانـكـ

وـبـعـفـوـيـةـ تـجـدـ نـفـسـكـ تـقـولـ إـنـا إـنـا !

هـكـذـا أـنـتـ حـيـنـ تـنـعـجـبـ،ـ حـيـنـ تـتـلـذـذـ،ـ حـيـنـ تـسـحـارـ بـالـأـشـيـاءـ

هـكـذـا يـنـبـغـيـ أـنـ يـكـونـ سـحـرـ قـصـيدـتـكـ،ـ وـلـا يـنـبـغـيـ أـنـ تـكـونـ قـصـيدـتـكـ أـفـلـ مـنـ ذـلـكـ

قصـيـدةـ شـطـرـيـكـ،ـ قـصـيـدةـ تـفـعـيلـتـكـ،ـ قـصـيـدةـ نـثـرـكـ

هـكـذـا تـعـودـ إـلـىـ القـصـيـدةـ وـإـلـيـكـ هيـ تـعـودـ

هـذـا هوـ مقـامـكـ فـيـهاـ وـهـوـ مقـامـهـاـ فـيـكـ

فـكـنـ أـنـتـ وـدـعـ مـنـ قـالـ إـنـ قـصـيـدةـ النـثـرـ لـهـاـ تـرـتـيبـ خـاصـ

دـعـهـ وـشـأـنـهـ وـتـسـامـ وـشـأـنـكـ

إنَّ شَانَ قَصِيدَةٍ نَثَرَكَ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَالْمَتَلِقُ مَعَهَا

كَوْنِكَما فِي الْبَسْتَانِ، كَوْنِكَ فِيهِ بِحِينِيَّاتِهِ

فِي الْمَكَانِ فِي الزَّمَانِ نَفْسَيْهُمَا

فِي اللَّهِظَةِ الَّتِي قَلْتَ فِيهَا إِنَّا ..

هِيَ لَحْظَةُ قَصِيدَةٍ نَثَرَكَ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا وَلَهَا

أَنَا أَقُولُ فِيهَا وَلَهَا وَأَنْتَ

أَنَا وَأَنْتَ وَبَائِعُ الْحَشَائِشِ فِي سُوقِ الْخَضْرَةِ

أَنَا وَأَنْتَ وَالْأَطْفَالُ النَّازِلُونَ مِنْ حَافِلَةِ رَوْضَتِهِمْ

أَنَا وَأَنْتَ وَمَنْ يَأْصِبُهُ الْفَوْلَ مِنْ جَرِيَّاتِهِ فِي الصَّحنِ

وَمَنْ يَأْكُلُ الْفَوْلَ فِي الْمَطْعَمِ أَيْسَاً كَانَ

تَشَهُدُ لِذَلِكَ دَقَّاتُ قَلْبِهِ

تَشَهُدُ رَائِحةُ الْبَصْلِ الْمَنْبَعِثَةُ مِنْ مَضْفَعِهِ

تَشَهُدُ الْزَيْتُونَةُ الَّتِي سَقَطَتْ فِي حَضْنِهِ

تَشَهُدُ نَسْمَةُ طَبِيعَةِ جَاءَتْ تُحِبِّبُهُ مِنْ الْبَسْتَانِ

وَأَنَا وَأَنْتَ نَشَهُدُ لِقَصِيدَةٍ نَثَرَكَ

للتى خرجتُ عن ترتيبها المعتَاد المُجتَرُ الخاص

للتى عرفتُنا كُلّـا وعرفتُ طريقةـها

لها نشهدُ قطعاً = نشهد

كيف لا نشهدُ للتى يشهدُ لها الخلود.